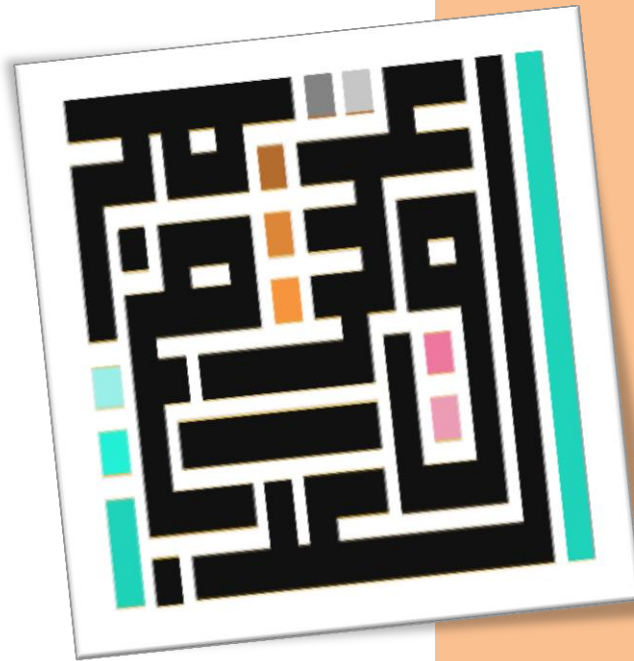


TEXTE

SESSION 1

Les passionnés de la langue arabe



RETROUVEZ-NOUS SUR :

- Le web : <http://www.les-passionnes-de-la-langue-arabe.com>
- Facebook : <https://www.facebook.com/groups/Lespassionnesdelalanguearabe/>
- YouTube : <https://www.youtube.com/user/passionlanguearabe>



Texte non vocalisé :

لم يشكّ أسال في أنّ جميع الأشياء التي وردت في شريعته من أمر الله عزّ وجلّ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنّته وناره، هي أمثلة هذه التي شاهدها حيّ ابن يقظان. فانفتح بصر قلبه وانقدحت نار خاطره وتطابق عنده المعقول والمنقول وقربت عليه طرق التّأويل ؛ ولم يبق عليه مشكل في الشّرع إلّا تبيّن له، لا مغلق إلّا انفتح، ولا غامض إلّا اتّضح. وصار من أولي الألباب.

[...] وجعل حيّ بن يقظان يستفحصه عن أمره وشأنه. فجعل أسال يصف له شأن جزيرته وما فيها من العالم ؛ وكيف كانت سيرهم قبل وصول الملّة إليهم ؛ وكيف هي الآن بعد وصولها إليهم. [...] ففهم حيّ بن يقظان ذلك كلّه ؛ ولم ير فيه شيئاً على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم.

فعلم أنّ الذي وصف ذلك وجاء به، محقّ في وصفه، صادق في قوله، رسول من عند ربّه. [...] إلّا أنّه بقي في نفسه أمران كان يتعجّب منهما ولا يدري وجه الحكمة فيهما :

أحدهما : لم ضرب هذا الرسول الأمثال للنّاس في أكثر ما وصفه من أمر العالم الإلهي وأضرب عن المكاشفة حتّى وقع النّاس في أمر عظيم من التّجسيم واعتقاد أشياء في ذات الحقّ هو منزّه عنها وبريء منها ؟ وكذلك في أمر الثّواب والعقاب ؟ والأمر الآخر : لم اقتصر على هذه الفرائض ووظائف العبادات، وأباح الاقتناء للأموال والتّوسّع في المآكل حتّى يفرع النّاس للاشتغال بالباطل والإعراض عن الحقّ ؟

[...] فلما اشتدّ إشفاقه على النّاس وطمع أن تكون نجاتهم على يديه، حدثت له نيّة في الوصول إليهم وإيضاح الحقّ لديهم وتبيّنه لهم. ففاوض في ذلك صاحبه أسال، وسأله



هل تمكنه حيلة في الوصول إليهم ؟ فأعلمه أسأل بما هم عليه من نقص الفطرة والإعراض عن أمر الله. فلم يتأت له فهم ذلك. وبقي في نفسه تعلّق بما كان قد أمّله.

[...] فأرسل الله إليهم ريحا رخاء حملت السفينة، في أقرب مدّة، إلى الجزيرة التي أملاها. فنزلا بها ودخلا مدينتها واجتمع أصحاب أسأل به فعرفهم شأن حيّ بن يقظان. فاشتملوا عليه اشتمالا شديدا وأكبروا أمره واجتمعوا إليه وأعظموه وبجلّوه. فأعلمه أسأل أنّ تلك الطائفة هم أقرب إلى الفهم والذكاء من جميع الناس.

[...] فشرع حيّ بن يقظان في تعليمهم وبتّ أسرار الحكمة إليهم فما هو إلا أن ترقى عن الظاهر قليلا وأخذ في وصف ما سبق إلى فهمهم خلافه، فجعلوا ينقبضون منه [...] مع أنّهم كانوا محبّين للخير، راغبين في الحقّ. إلا أنّهم لنقص فطرتهم، كانوا لا يطلبون الحقّ من طريقه ولا يأخذونه بجهة تحقيقه ولا يتلمّسونه من بابيه بل كانوا لا يريدون معرفته من طريق أربابه. فيئس من إصلاحهم وانقطع رجاؤه من صلاحهم لقلّة قبولهم.

[...] وأيّ تعب أعظم وشقاوة أطمّ ممّن إذا تصفّحت أعماله من وقت انتباهه من نومه إلى حين رجوعه إلى الكرى، لا تجد منها شيئا إلا وهو يلتمس به تحصيل غاية من هذه الأمور المحسوسة الخسيسة : إما مال يجمعه أو لذة ينالها أو شهوة يقضيها أو غيظ يتشقى به أو جاه يحرزّه أو عمل من أعمال الشرع يتزيّن به أو يدافع عن رقبته.

[...] فأنصرف إلى سلامان وأصحابه فاعتذر عمّا تكلم به معهم وتبرأ إليهم منه وأعلمهم أنّه قد رأى مثل رأيهم واهتدى بمثل هديهم، وأوصاهم بملازمة ما هم عليه من التزام حدود الشرع والأعمال الظاهرة وقلّة الخوض فيما لا يعينهم، والإيمان بالتشابهات والتسليم بها، والإعراض عن البدع والأهواء، والاعتداء بالسلف الصالح والتّرك لمحدثات الأمور. وأمرهم بمجانبة ما عليه جمهور العوامّ من إهمال الشريعة والإقبال على الدّنيا، وحثّهم عنه غاية التّحذير ؛ وعلم هو وصاحبه أسأل أنّ هذه الطائفة المريدة القاصرة، لا نجاة لها إلا بهذا الطّريق وأنّها إن رفعت عنه إلى يفاع الاستبصار اختلّ ما هي عليه ولم يمكنها أن تلحق بدرجة السّعداء.



[...] فودّعاهم وانفصلا عنهم، وتلطفًا في العود إلى جزيرتهما.

عن حيّ بن يقظان لابن طفيل.

Texte vocalisé :

لَمْ يَشْكُكَ أَسْأَلُ فِي أَنْ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي شَرِيعَتِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ، هِيَ أَمْتَلُهُ هَذِهِ الَّتِي شَاهَدَهَا حَيُّ
ابْنُ يَظْظَانَ. فَانْفَتَحَ بَصَرُ قَلْبِهِ وَانْفَدَحَتْ نَارُ خَاطِرِهِ وَتَطَابَقَ عِنْدَهُ الْمَعْقُولُ وَالْمَنْقُولُ
وَقَرَّبَتْ عَلَيْهِ طُرُقُ التَّأْوِيلِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مُشْكَلٌ فِي الشَّرْعِ إِلَّا تَبَيَّنَ لَهُ، لَا مُغْلَقٌ إِلَّا
انْفَتَحَ، وَلَا غَامِضٌ إِلَّا اتَّضَحَ. وَصَارَ مِنْ أَوْلِي الْأَلْبَابِ.

[...] وَجَعَلَ حَيُّ بْنُ يَظْظَانَ يَسْتَفْجِصُهُ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ. فَجَعَلَ أَسْأَلُ يَصِفُ لَهُ شَأْنَ
جَزِيرَتِهِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَالَمِ ؛ وَكَيْفَ كَانَتْ سَيْرُهُمْ قَبْلَ وُصُولِ الْمَلَةِ إِلَيْهِمْ ؛ وَكَيْفَ هِيَ
الآنَ بَعْدَ وُصُولِهَا إِلَيْهِمْ. [...] فَفَهَمَ حَيُّ بْنُ يَظْظَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ ؛ وَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا عَلَى
خِلَافِ مَا شَاهَدَهُ فِي مَقَامِهِ الْكَرِيمِ.

فَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي وَصَفَ ذَلِكَ وَجَاءَ بِهِ، مُحَقِّقٌ فِي وَصْفِهِ، صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ، رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ
رَبِّهِ. [...] إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَ فِي نَفْسِهِ أَمْرَانِ كَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُمَا وَلَا يَدْرِي وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهِمَا
:

أَحَدُهُمَا : لِمَ ضَرَبَ هَذَا الرَّسُولُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ فِي أَكْثَرِ مَا وَصَفَهُ مِنْ أَمْرِ الْعَالَمِ
الْإِلَهِيِّ وَأَضْرَبَ عَنِ الْمُكَاشَفَةِ حَتَّى وَقَعَ النَّاسُ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ مِنَ التَّجْسِيمِ وَاعْتِقَادِ
أَشْيَاءٍ فِي ذَاتِ الْحَقِّ هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهَا وَبَرِيءٌ مِنْهَا ؟ وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ؟

وَالْأَمْرُ الْآخَرُ : لِمَ اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْفَرَائِضِ وَوِظَائِفِ الْعِبَادَاتِ، وَأَبَاحَ الْإِقْتِنَاءَ
لِلْأَمْوَالِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْمَأْكَلِ حَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ لِلِاسْتِغَالِ بِالْبَاطِلِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ
الْحَقِّ ؟



[...] فَلَمَّا اشْتَدَّ إِشْفَاقُهُ عَلَى النَّاسِ وَطَمِعَ أَنْ تَكُونَ نَجَاتُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، حَدَّثَتْ لَهُ نِيَّةً فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ وَإِيضاحِ الْحَقِّ لَدَيْهِمْ وَتَبْيِيهِ لَهُمْ. فَفَاوَضَ فِي ذَلِكَ صَاحِبَهُ أَسَالَ، وَسَأَلَهُ هَلْ تُمْكِنُهُ حِيلَةٌ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ؟ فَأَعْلَمَهُ أَسَالَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ نَقْصِ الْفُطْرَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ. فَلَمْ يَتَأْتَّ لَهُ فَهْمٌ ذَلِكَ. وَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ تَعَلُّقٌ بِمَا كَانَ قَدْ أَمَلَهُ.

[...] فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رِيحًا رُخَاءً حَمَلَتْ السَّفِينَةَ، فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ، إِلَى الْجَزِيرَةِ الَّتِي أَمَلَهَا. فَتَزَلَّ بِهَا وَدَخَلَ مَدِينَتَهَا وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ أَسَالَ بِهِ فَعَرَّفَهُمْ شَأْنَ حَيِّ بْنِ يَفْظَانَ. فَاسْتَمَلُوا عَلَيْهِ اسْتِمَالًا شَدِيدًا وَأَكْبَرُوا أَمْرَهُ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَعْظَمُوهُ وَبَجَلُوهُ. فَأَعْلَمَهُ أَسَالَ أَنَّ تِلْكَ الطَّائِفَةَ هُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ وَالذِّكَاةِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ.

[...] فَشَرَعَ حَيُّ بْنُ يَفْظَانَ فِي تَعْلِيمِهِمْ وَبَثَّ أَسْرَارَ الْحِكْمَةِ إِلَيْهِمْ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَرَقَّى عَنِ الظَّاهِرِ قَلِيلًا وَأَخَذَ فِي وَصْفِ مَا سَبَقَ إِلَى فَهْمِهِمْ خِلَافُهُ، فَجَعَلُوا يَنْقِضُونَ مِنْهُ [...] مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحِبِّينَ لِلْخَيْرِ، رَاغِبِينَ فِي الْحَقِّ. إِلَّا أَنَّهُمْ لِنَقْصِ فِطْرَتِهِمْ، كَانُوا لَا يَطْلُبُونَ الْحَقَّ مِنْ طَرِيقِهِ وَلَا يَأْخُذُونَهُ بِجِهَةِ تَحْقِيقِهِ وَلَا يَتَلَمَّسُونَهُ مِنْ بَابِهِ بَلْ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ مَعْرِفَتَهُ مِنْ طَرِيقِ أَرْبَابِهِ. فَيَبْسُ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُ مِنْ صِلَاحِهِمْ لِقَلَّةِ قَبُولِهِمْ.

[...] وَأَيُّ تَعَبٍ أَعْظَمٍ وَشَقَاوَةٍ أَطْمَمَنَّ إِذَا تَصَفَّحْتَ أَعْمَالَهُ مِنْ وَقْتِ انْتِبَاهِهِ مِنْ نَوْمِهِ إِلَى حِينِ رُجُوعِهِ إِلَى الْكُرَى، لَا تَجِدُ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ يَلْتَمِسُ بِهِ تَحْصِيلَ غَايَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمَحْسُوسَةِ الْخَسِيسَةِ : إِمَّا مَالٌ يَجْمَعُهُ أَوْ لَذَّةٌ يَنَالُهَا أَوْ شَهْوَةٌ يَقْضِيهَا أَوْ غَيْظٌ يَتَشَفَّى بِهِ أَوْ جَاهٌ يُحْرِزُهُ أَوْ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرْعِ يَتَرَيُّنُ بِهِ أَوْ يُدَافِعُ عَنْ رَقَبَتِهِ.

[...] فَأَنْصَرَفَ إِلَى سَلَامَانَ وَأَصْحَابِهِ فَاعْتَدَرَ عَمَّا تَكَلَّمَ بِهِ مَعَهُمْ وَتَبَرَّأَ إِلَيْهِمْ مِنْهُ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِمْ وَاهْتَدَى بِمِثْلِ هَدْيِهِمْ، وَأَوْصَاهُمْ بِمُلَازِمَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ النِّزَامِ حُدُودِ الشَّرْعِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَقَلَّةِ الْخَوْضِ فِيهَا لَا يَغْنِيهِمْ، وَالْإِيمَانَ بِالنَّشَائِطِ وَالتَّسْلِيمِ بِهَا، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَالتَّرَكِّ لِْمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ. وَأَمَرَهُمْ بِمُجَانَبَةِ مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعَوَامِّ مِنْ إِهْمَالِ الشَّرِيعَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا، وَحَدَّرَهُمْ عَنْهُ غَايَةَ التَّحْذِيرِ ؛ وَعَلِمَ هُوَ وَصَاحِبُهُ أَسَالَ أَنَّ هَذِهِ



الطَائِفَةُ الْمُرِيدَةُ الْقَاصِرَةَ، لَا نَجَاةَ لَهَا إِلَّا بِهَذَا الطَّرِيقِ وَأَنَّهَا إِنْ رُفِعَتْ عَنْهُ إِلَى يَفَاعِ
الْإِسْتِبْصَارِ اخْتَلَّتْ مَا هِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُمَكِّنْهَا أَنْ تَلْحَقَ بِدَرَجَةِ السُّعْدَاءِ.

[...] فَوَدَّعَاهُمْ وَأَنْفَصَلَا عَنْهُمْ، وَتَلَطَّفَا فِي الْعُودِ إِلَى جَزِيرَتَيْهِمَا.

عَنْ حَيِّ بْنِ يَظَانَ لِابْنِ طُقَيْلٍ.

Traduction de Léon Gauthier :

(revue par Séverine Auffret et Ghassan Ferzli)

[...] Açâl ne douta pas que toutes les traditions de sa loi religieuse relatives à Dieu puissant et grand, à ses anges, à ses livres, à ses envoyés, au jour dernier, à son paradis et au feu de son enfer, ne fussent les symboles de ce que Hayy ben Yaqzân avait aperçu à nu.

Les yeux de son cœur s'ouvrirent, le feu de sa pensée s'alluma. Il voyait s'établir la concordance de la raison et de la tradition. Les voies de l'interprétation allégorique s'offraient à lui. Il ne restait plus dans la loi divine rien de difficile qu'il ne comprît, rien de fermé qui ne s'ouvrît, rien d'obscur qui ne s'éclaircît. Il devenait un de ceux qui savent comprendre.

[...] Hayy ben Yaqzân, à son tour, se mit à l'interroger sur lui et sur sa condition. Açâl lui parla de son île, des gens qui s'y trouvaient, de leur manière de vivre avant d'avoir reçu leur religion et depuis qu'ils l'avaient reçue.

[...] Hayy ben Yaqzân comprit tout cela et n'y vit rien qui fut en opposition avec ce qu'il avait contemplé dans sa station sublime. Il reconnut que celui qui avait tracé et propagé ces idées était véridique dans ses descriptions, sincère dans ses paroles, envoyé par son Seigneur.

[...] Deux choses toutefois ne cessaient de l'étonner, dont il ne comprenait pas la sagesse. En premier lieu, pourquoi cet envoyé se servait-il le plus souvent d'allégories en s'adressant aux hommes, dans la description du monde divin ? Pourquoi s'était-il abstenu de présenter la vérité à nu ? Pourquoi avoir choisi ce qui fait tomber les hommes dans l'erreur grave de prêter un corps à Dieu, d'attribuer à l'essence du Véritable des caractères dont il est exempt et pur ? De même, en ce qui concerne les récompenses, les châtiments et la vie future.



En second lieu, pourquoi s'en tenait-il à ces préceptes et à ces prescriptions rituelles, pourquoi permettait-il d'acquérir des richesses et laissait-il une telle latitude quant aux aliments, si bien que les hommes se livraient à des occupations vaines et se détournaient de la vérité ?

[...] Plein de compassion pour les hommes, et désirant ardemment leur apporter le salut, il conçût le dessein d'aller à eux et de leur exposer la vérité d'une manière claire et évidente. Il s'en ouvrit à son compagnon Açâl, et lui demanda s'il y avait pour lui un moyen de parvenir jusqu'à eux. Açâl le renseigna sur l'infirmité de leur naturel, sur leur éloignement des commandements de Dieu, mais Hayy ne pouvait comprendre pareille chose et demeurait, en son âme, attaché à son espoir.

[...] Dieu leur envoya un vent favorable qui porta le navire en très peu de temps vers l'île où ils souhaitaient se rendre. Les deux compagnons débarquèrent et entrèrent dans la ville.

Les amis d'Açâl vinrent le voir, et il les renseigna sur Hayy ben Yaqzân. Ils l'entourèrent en foule, admirant son cas. Ils l'approchèrent pleins d'estime et de vénération. Açâl lui apprit que ce petit groupe d'hommes l'emportait sur tous les autres par l'intelligence et la pénétration.

[...] Hayy ben Yaqzân entreprit donc de les instruire et de leur révéler les secrets de la sagesse. Mais à peine s'était-il élevé quelque peu au-dessus du sens exotérique pour aborder certaines vérités contraires à leurs préjugés qu'ils commencèrent à s'écarter de lui.

[...] Ils étaient pourtant amis du bien et désireux du vrai, mais du fait de leur naturel infirme, ils ne poursuivaient pas le vrai par la voie requise, ne se dirigeaient pas du côté qu'il fallait, et au lieu d'ouvrir la bonne porte, ils cherchaient le vrai par la voie des autorités.

Hayy désespéra de les corriger et perdit tout espoir de les convaincre. [...] Les avertissements sont sans effet sur eux, les bonnes paroles sans force, la discussion ne produit en eux que l'obstination. Quant à la sagesse, nulle voie vers elle ne leur est ouverte et ils n'y ont aucune part.

[...] Quoi de plus pénible, de plus profondément misérable que la condition d'un homme tel que, si l'on passe en revue ses œuvres depuis l'instant où il s'éveille jusqu'au moment où il se rendort, on n'en trouve pas une seule qui n'ait pour fin quelque-une de ces choses sensibles et viles : accumulation de richesses, recherche d'un plaisir, satisfaction d'une passion, assouvissement d'une colère, acquisition d'un rang qui lui offre la sécurité, accomplissement d'un acte religieux dont il tire vanité ou qui protège sa tête ?

[...] Il se rendit donc auprès de Salâmân et de ses compagnons, leur présenta ses excuses pour les discours qu'il leur avait tenus et s'en rétracta.



Il leur déclara qu'il pensait désormais comme eux, que leur norme était la sienne. Il leur recommanda de continuer à observer rigoureusement les démarcations de la loi divine et les pratiques extérieures, d'approfondir le moins possible les choses qui ne les regardaient pas, de croire sans résistance aux passages ambigus des textes sacrés, de se détourner des hérésies et des opinions personnelles, de se régler sur les vertueux ancêtres et de fuir les nouveautés. Il leur recommanda d'éviter l'indifférence de la grande masse pour la loi religieuse, son attachement au monde, et il les adjura de se tenir en garde contre cet égarement.

Car ils avaient reconnu, lui et son ami Açâl, qu'il n'y avait pas d'autre voie de salut pour cette catégorie d'homme moutonnaire et impuissante, et que, si on les en détournait pour les entraîner sur les hauteurs de la spéculation, ils subiraient dans leur état un trouble profond sans pouvoir atteindre au degré des bienheureux.

[...] Ils leurs dirent adieu tous les deux, les quittèrent et attendirent patiemment l'occasion de retourner dans leur île.

